محمد مصطفى العمراني

توبة غريبة!

مجموعة قصصية

كلم البسمة
للنشر الإلكتروني

محمد مصطفى العمراني

اسم الكتاب: توبة غريبة!

اسم الكاتب: محمد مصطفى العمراني

نوع العمل: قصص

الرقم الدولي EBIN: 16-1-197-221125

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2022م / 1444هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)

Basma24design@gmail.com

المملكة المغربية

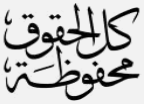

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

توبة غريبة!

مجموعة قصصية

محمد مصطفى العمراني

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أحبابي وفلذات كبدي وامتدادي في الحياة..

أحبابي مارينا وليث أهدي هذه المجموعة القصصية..

مقدمة قصيرة

في حياتي لم أحب شيئًا كما أحببت القصص القصيرة كتابة وقراءة، هذا الفن الساحر لو استطعت أن أتفرغ له طيلة حياتي لفعلت لقناعتي بالدور الهام الذي يقوم به في غرس المفاهيم والقيم والتصورات في الأذهان والوجدان.

القصص القصيرة فن ساحر تقرأه بمتعة وسلاسة فيتغلغل في روحك ويتسرب في وجدانك كأنه سلسبيل ينساب في جدول، ويطبع في ذهنك الكثير من الأفكار والقيم والمفاهيم التي تبقى كنقش حجري وإن لم تتنبه له.

من وجعة نظري فإن القصص الجيدة هي التي لا تستطيع تركها، هي القصة التي تظل متشوق لمعرفة نهايتها وفي الوقت نفسه مستمع بقراءتها، هي القصة التي تلهمك فكرة لقصة قد تكون مغايرة للقصة التي قرأتها أو مشابهة لها في جزئية بسيطة لكن ما يهم هو فكرة القصة.

بعد أن تأتي الفكرة تظل القصة في ذهني أكتبها وأنقحها، أشطب وأضيف وأختار العبارات وأعدل في ذهني، وتظل هذه القصة تتفاعل في ذهني وتشغل تفكيري رغما عني حتى أكتبها على الورق، وبعد أكتبها أعود إلى قرأتها وكأنها قصة لشخص لا أعرفه وكأني ناقد صارم يريد أن يبحث له عن أي عيب في القصة أقرأها كأنها ليست قصتي وأكتشف بعض الأخطاء والثغرات أو ضعف في الصياغة أو ركاكة في الأسلوب ثم أعود لصياغتها من جديد وقرأتها للمرة الأخيرة ثم أنشرها وبعد النشر أعود لقراءتها مرة أخرى وأستمتع بقراءتها منشورة، وكل هذا التعب اللذيذ يشعرني بسعادة تغمرني وأتذوقها بطعم الشهد المصفى.

قلت مرارا: أجدني في كتابة القصة مثلما يجد المطرب ذاته بالغناء ومثلما يجد العصفور ذاته في الطيران والشدو.

في القرآن الكريم مئات القصص ولو لم تكن للقصة كل تلك الأهمية لما وجدت القصص بكل تلك الكثافة في القرآن الكريم وتمت تسمية سورة باسم القصص، ولما أصبحت الصحافة في الكثير من دول العالم تصاغ بشكل قصص والأخبار تصاغ وتبث بشكل قصص والتعليم بشكل قصص فهذا الفن هو الأسلوب الناجح في كل زمان ومكان وكتابة القصص ليست للمتعة والتسلية ولكنها تحمل رسالة أود أن تصل إلى الناس عبر هذا الفن الساحر.

مؤخرا صارت تصلني الكثير من القصص القصيرة يطلب كتابها رأيي فيها ورغم أن تجربتي البسيطة لا تجعلني مؤهلا لنقد هذه القصص إلا أنني أنصح بما أعلمه من خبرتي البسيطة، البعض يخلط بين الخاطرة أو المقال القصصي وبين القصة القصيرة فمثلا: وصلتني قصة جيدة يتحدث كاتب القصة عما تعرض له حين كان على موعد مع مقابلة شفهية للحصول وظيفة وكيف أن ضغط الوقت جعله يسابق الزمن ليصل في الموعد المناسب وكيف وصل في اللحظة قبل الأخيرة وتمكن بالكاد من الحصول على مقعد وحضور المقابلة، وهو سرد جيد كونه

يمضي بشكل مشوق لمعرفة هل سيتمكن بطل القصة من حضور المقابلة التي يعول عليها كثيرا أم لا وهل سينال الوظيفة فهو يشرك القارئ في معاناته ويجعله يتطلع للنهاية الذروة التي يتنفس فيها الصعداء بعد فوزه بالمقابلة وحصوله على الوظيفة ولكنه يمضي بعد ذلك في اسداء النصائح بأهمية الوقت وضرورة الاستفادة منه وهذا استطراد يقتل القصة تماما فالقصة ليس فيها نصائح ولا أراء فهي ليست مقال أو خاطرة وانما جنس أدبي آخر ليس فيه إرشادات ونصائح وهذه أول النصائح..

القصص لا تعظ، تلمح ولا تصرح، تومئ بإشارة يفهمها الحليم، أسلوبها الساحر الممتع يترك أثر غير مباشر، أثر خفي وخطير في الوقت نفسه، القصة أخطر من المقال بألف مرة لكنهم يقرؤونها غالباً قراءة سطحية، القصة خالدة والمقال آني ابن يومه او أسبوعه بينما تبقى القصة ويكتب لها الخلود وتقرأ بكل اللغات والأماكن، ما زال الناس حتى اليوم يقرأون قصص انطوان تشيخوف وجي دي موباسان وساكي مونرو وجابرييل جارسيا ماركيز ويوسف ادريس ونجيب الكيلاني ونجيب

محفوظ وغيرهم رغم موتهم ورغم أن لنا أكثر من قرن منذ كتب انطوان تشيخوف قصصه وما تزال إلى اليوم نماذج مدهشة خالدة لأنها تجسد أشواق وآلام وآمال الإنسان في كل زمان ومكان.

محمد مصطفى العمراني

توبة غريبة!

بقيت لأيام أدرس بعناية كيف سأغالط ذلك العجوز الذي يطوف القرى على حماره، يبيع البسكويت والحلويات للأطفال، لم يكن في جيبي ريالا واحدا، لكنني قررت أنني أمتلك 100 ريال دفعة واحدة!

في كتابي المدرسي صورة لمائة ريال، جئت بالمقص وقصصتها بعناية تامة، ولكي أخدع ذلك العجوز يجب أن أترقبه وهو عائدا من القرية المجاورة بعد أن يبدأ الليل بإسبال ظلامه على القرية، حينها لن يفحص النقود كثيرا وستنجح الخطة.

نحن الآن في العام 1989م حيث ال– 100 ريال بالنسبة لطفل عمره عشر سنوات مبلغا كبيرا لم يحلم بالحصول عليه، وأقصى مبلغ حصلت عليه هو عشرة ريالات، كان في يوم العيد الكبير.

أرتفع أذان المغرب، وحين بدأ الرجال يتوضؤون استعدادا لصلاة المغرب تسللت من بينهم، ذهبت إلى تلك التلة أنتظر مرور العجوز، وحين رأيته قادما على ظهر حماره هبطت إلى الطريق حيث سيمر وانتظرت.

هل طال انتظاري حينها وأنا نفذ مخططي الإجرامي بحق ذلك العجوز؟! أم أن ارتباكي المشوب بالخوف ودقات قلبي جعلت الوقت يمر بطيئا علي؟!

العتمة تزداد من حولي وأنا أتحسس جيبي لأتأكد أن الورقة ما تزال فيه، لم يكد يظهر في المنعطف حتى قفزت إلى أمامه، جفل الحمار ثم توقف ليصرخ بي العجوز:

– ما تشاء يا ولد؟

– هـذه مائـة ريال أعطـني بسـكويت وحلـوى بعشـرة ريال ورجـع الباقي.

ناولته الورقة:

تحسسها ثم رفعها إلى الأعلى:

– هذه المائة صغيرة، هذه مزورة.

فاجأني بملاحظته فكدت أنهار وتفشل خطتي كلها، لكنني تماسكت وصحت به:

– هذه مائة ريال صحيحة أعطاني إياها عمي العائد من السعودية، أنت قدك أعمى يا شيبة، ما عاد تشوف بالنهار فكيف بالليل؟!

صمت العجوز فواصلت هجومي بثقة:

– إذا ما تريدها رجع لي فلوسي سأذهب لأشتري من الدكان.

وصرخت بحدة:

– هات فلوسي.

أدخل العجوز الورقة في جيبه وأنا غير مصدق، فتح الخرج وأعطاني بسكويت وحلوى بعشرة ريالات، ثم أعاد لي بقية نقودي 90 ريالا.

لكز العجوز حماره وواصل مسيره، عدت أدراجي وأنا غير مصدق أنني قد خدعت العجوز ونجحت خطتي!

أخفيت البسكويت والنقود عن أهلي، بقيت أتناول البسكويت سرا، أنفقت النقود خلال أسابيع، لكنني لم أتمتع بها كما ظننت.

بعد أن أكملتها بدأ ضميري يؤنبني على مغالطتي للعجوز، وبدأت أتساءل:

– هل سيكتشف الأمر ويشكوني إلى أهلي؟

– هل سيعاقبني الله على هذا الذنب؟

أم أنني ما زلت طفلا صغيرا لا ذنب له؟

كل ليلة تؤرقني هذه التساؤلات، أتقلب في فراشي ولا أنام إلا منتصف الليل.

في ليلة الإسراء والمعراج جاؤوا بشريط كاسيت فيه محاضرة عن ليلة الإسراء والمعراج، وضعوه في المسجلة وتحلقنا كلنا نسمع، الحديث مخيف وفيه ترهيب ووعيد للمجرمين، يروي الحديث عن صعود الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السماء ورؤيته للمجرمين يعذبون بأسلوب زاعق مخيف.

حين وصل الحديث إلى ذكر اللصوص صرخت بأعلى:

– لا لا لا لن أذهب إلى النار.

أوقفوا الاستماع للشريط وألتفت الجميع إلي، وكي أوضح لهم الأمر قلت وأنا أرتعش خوفا:

– أنا سرقت.

وبدأت يسألونني:

– من سرقت؟

– غالطت العجوز الذي يبيع فوق الحمار بمائة ريال.

– كيف غالطته؟

– قصيت صورة المائة ريال من الكتاب المدرسي وناولته فظنها 100 ريال فعلا.

وجد أخي الإجابة على السؤال الذي حيره طويلا:

– هو أنت الذي قصيت صورة ال– 100؟

وأضاف:

– كنت أبحث عنها فما وجدت غير الخمسين فقصيتها وغالطته بخمسين.

وبدأت الاعترافات:

– أنا غالطته بالعشرين.

– وأنا غالطته بعشره.

حتى أخي الأصغر أعترف بأنه غالطه بالخمسة الريال.

ضج الجميع في الضحك.

عمي العائد من السعودية والذي جاء ضيفا عندنا أدهشه الأمر:

– كلكم غالطتم هذا الشيبة؟!

وأضاف:

– هل هذا العجوز أعمى؟!

سألتهم:

– أنا تبت ولن أغالط أحد، لكن كيف سأدفع له 100 ريال؟!

ضحك عمي وأكدنا لنا أنه سيدفع للعجوز نقوده، وإذا كررناها فسيضربنا دون رحمة.

في تلك الليلة نمت باطمئنان بعد أن تبت عن الجريمة التي اقترفتها بحق ذلك العجوز، وأيقنت أنني لن أدخل النار.

الضائعة!

مقابل منزل صديقي الطبيب أراها تقف دائما في ذلك المعرض تبيع ملابس ومستلزمات نسائية، كلما مررت ورأيتها عن قرب وجدت في عينيها شيء يشدني إليها، بريق غريب يأسرني ويجعلني أحلق بخيالي في آفاق من السعادة.

من غرفة المقيل أطيل النظر إلى المعرض، يأتي إليها الزبائن وأغلبهم من النساء فتتحدث معهن، أما الرجال فتعاملهم بجفاف ولا تطيل الحديث معهم، وهذا ما زاد اهتمامي بها.

في المقيل يتحدثون في كل شيء، أما أنا فأطيل الصمت والتركيز عليها وهي في المعرض، تنبه لي رواد المقيل من الزملاء وبدأوا يطلقون النكات علي لكنني تجاهلتهم.

بدأت أذهب إليها كل مساء، مرة أشتري قنينة من العطر لأختي، وفي المرة الثانية أشتري علبة بخور لأمي، كنت أحاول إطالة الحديث معها لكنها عاملتني بجدية وبشكل رسمي جعلني أراها فتاة مكافحة ومحترمة، ومع هذا فقد بقيت أمر عليها كل مساء، أقنع برؤيتها وأشتري أي شيء وأغادر.

أعود إلى سكن الطلاب العزاب وأظل أفكر أفيها، لقد شغلت ذهني وتفكيري تماما.

وفوجئت بصديقي الطبيب يطلب مني في المقيل الحديث معه على انفراد، ذهبنا إلى غرفة أخرى وبدأ يتحدث:

– أشوفك مهتم كثيرا بأمر الفتاة التي في المعرض

فاجأني بسؤاله فارتبكت وتلعثمت لكنه مضى يتحدث:

– شخصيا أعرف أهل الفتاة جيدا، انهم من أقاربنا وهذه الفتاة محترمة جدا والكل يشيد بأخلاقها.

هممت بالحديث لكنه واصل كلامه:

– هي اضطرت للعمل في المعرض بعد وفاة والدها فهي تعول أمها وأخواتها الصغار.

هممت مرة أخرى بالحديث لكنه واصل حديثه:

– إذا كنت تريدها للزواج فأنني سأذهب معك إلى أهلها لخطبتها.

– لكني طالب بالجامعة ولا أمتلك إلا مصروفي الذي يصلني من أهلي بالقرية.

وفاجأني مرة أخرى:

– التكاليف لا تهمها سوف أناقشها معهم وأنت ستجد زوجة ومنزل وتعيش دون أن تدفع شيئا حتى تتخرج وتعمل.. ما رأيك؟

شـكرته كثـيرا ووعدتـه بأن أفكـر في العـرض الـذي قدمـه لي وغادرت إلى السكن.

وغرقـت في التفكـير ووجـدتني أفكـر بشـكل عـاطفي وانتهـز الفرصة التي قدمها صديقي الطبيب.

ذهبت إليه في اليوم التالي ووافقت على الزواج من فتاة المعرض فتواصل مع والدتها وخالها ورتب لنا لقاء في منزل والدة الفتاة وبحضور أخوالها حيث تناولنا الغداء معهم، ودخلت الفتاة وقدمت الشاي ورأيت مـن قـرب تلـك العيـون الـتي أسـرتني وسـلبت تفكـيري وسـيطرت علـى مشاعري.

وتم الترتيـب للزفـاف بعـد أسـابيع، لقـد مضـى الأمـر بسـرعة وسـهولة وأنا غـير مصـدق مـا يحـدث لي، قلـت لنفسـي: هـي مغـامرة لـن أخسر فيها شيئا.

استأجرت شقة صغيرة من غرفتين ومطبخ وحمام وأقرضني الطبيب مبلغا كبيرا اشتريت به الأثاث على أن أسدده بالقسيط المريح، وتم الزفاف.

كانت سلمى خجولة لا تتحدث إلا إذا سألتها، بعد أيام بدأت تسألني عن أهلي وأسرتي فهي لم تر أحدا منهم فأخبرتها أن أهلي يريدون تزويجي بفتاة من أقاربنا ولذا قاطعوا زواجي.

وبعد أسابيع من الزواج فوجئت بها قد غادرت المنزل وعادت للعمل في المعرض فثار غضبي واتصلت بصديقي الطبيب ولكنه أخبرني أنني كان يجب أن أشترط عليها عدم العمل من البداية لأنها لا تستطيع ترك المعرض لإدارة خالها الذي سيلتهم كل شيء.

انتظرت بفارغ الصبر عودتها وحين عادت صرخت فيها وأفرغت عليها غضبي لتنزوي في ركن الغرفة تبكي بصمت فهدأت ثم اعتذرت لها وطلبت منها عدم الذهاب إلى المعرض فزاد في البكاء، وأخبرتني أن خالها قد أختلس من المعرض مبلغا كبيرا من المال أثناء

غيابها عنه، وأنها لو تركت له المعرض فسوف ينتهي خلال أشهر وهو مصدر معيشة أسرتها فقبلت على مضض عملها في المعرض.

وذهبت إليها في المعرض فأدخلتني غرفة كبيرة ملحقة به وفيها حمام وباب خلفي فكنت أذهب إليها في المعرض ولا نغادره إلى الشقة إلا في المساء.

وذات مساء عدنا إلى الشقة فوجدنا الباب مكسورا ولم يتبق فيها شيئا، لقد كسر اللصوص الباب وحملوا كل شيء!

كارثة حلت علينا من حيث لا نتوقع، ذهبنا إلى قسم الشرطة وقدمنا بلاغا وعدنا إلى المعرض، وبتنا هناك واضطررنا لتسليم الشقة، والمعيشة في الملحق الخاص بالمعرض فنحن بلا أطفال وفي بداية حياتنا الزوجية وعلينا الصبر والكفاح..

بعد نهاية الدراسة في الكلية بدأت أعمل في مطعم لأسدد ثمن الأجهزة والأثاث المسروق من الشقة، عملت نادلا في المطعم أنادي على الطلبات حتى بح صوتي وصار أشبه بصوت الكبش فصاروا

ينادونني ب– "الكبش"، أحسست بالإهانة فأنا مشروع طبيب ناجح لكنني اضطررت لهذا العمل المؤقت فصرت مسخرة للزبائن والعمال!

عادت هي تعمل في المعرض كالعادة لتعول أسرتها، نلتقي في المساء وقد هدنا التعب، نتعشى ونتحدث قليلا ثم نغرق في النوم.

ومضت الحياة رتيبة مملة وبدأت أراها نحيلة وسمراء وتراني شاب عاطل وانتهازي لم يستطع توفير الحياة الكريمة لها، وبدأنا نتشاجر ونختلف فغادرت المعرض وعدت للمبيت عند زملائي في سكن العزاب.

وأطلق الزملاء النكات والدعابات ضدي وأنا ساكت غارق في التفكير كأنني في وادي آخر، وعدت للمقيل في منزل صديق الطبيب، كنت أتحاشى النظر للمعرض ومحاولة نسيان ما حدث وبداية حياتي من جديد.

ومضت أسابيع وأشهر وذات مساء وأنا أتمشى على الساحل الذهبي بعدن إذ بشاب يقترب مني ويطلق من مسدسه ثلاث رصاصة أحسست كأنها اخترقت جمجمتي لأسقط مغشيا علي فوق رمال

الساحل، ولا أدري كم مضى من الوقت علي حيث أفقت أتحسس جسدي فوجدته سليما ففرحت لأنني لم أصب بأذى، وأن الرصاصات كانت رسالة تحذيرية من جهة ما.

وفهمت الرسالة فهي منها بلا شك، ولكنني ركبت رأسي وقررت ألا أعود إلى المبيت معها في المعرض، وجاءني الطبيب صديقي، طلب أن نناقش الأمر كأصدقاء فأخبرته أنني عندما أسدد تكاليف الأثاث المسروق وأستطيع أن تأجير شقة وتأثيثها من جديد سوف أعيدها فأيدني في رأيي، لكنه تعجب مني:

– لماذا لا أتفق معها على هذا الأمر؟!

وأكد لي أنها سوف تتفهم وضعي وتصبر علي.

وبإلحاح منه ذهبت إليها في المعرض ودعوتها للعشاء في أحد المطاعم الفاخرة، وتفاهمنا على الأمر، كانت حزينة واجمة وقد زادت نحولا وسمرة، وحين جئت أودعها انهارت باكية فأوصلتها إلى منزلهم، وتحدثت مع والدتها التي طلبت مني أن أبيت في منزلهم فأكدت لها أنني

الآن طالب في كلية الطب ولم يبق سوى عام على تخرجي، وفي المستقبل ستكون لي عيادتي الخاصة ونجاحي وسأفتح منزلا وستكون ابنتها أميرة فيه، وبقينا نتحدث حتى الصباح ثم غادرت إلى عملي وأنا بلا نوم، وبقيت أعمل حتى سددت ثمن الأثاث، وغادرت إلى القرية لأعود بعدها فأجد المعرض قد تحول إلى مطعم وذهبت إلى منزلها فوجدت أسرتها قد باعته ورحلت، وصديقي الطبيب قد أيضا رحل إلى دولة خليجية للعمل فيها، بحثت عنها في كل مكان فلم أجدها، سألت عنها وعن أخوالها واهلها كل أهالي الحارة فلم يعرفها أحد!

وما زلت إلى الآن أبحث عنها!!

الحرب الخفية!

في بيتنا الريفي كنت أضع رأسي على الفراش لأنام وأنا أستمع إلى شخير إخواني يختلط بصرير الجدجد ومع هذا فأنام ملء جفوني، لكنني منذ سكنت المدينة صرت أشمئز من رؤية الحشرات، وإذا رأيت حشرة في المطبخ فإني أظل لأيام أشتري الطعام من المطاعم المجاورة، زوجتي أعجبها الأمر وكلما طلبت منها أن تعد لي بعض الوجبات ترد علي:

– أخشى أن أعد الوجبة ثم ترى الحشرات أقاطعها:

– خلاص سنشتري الطعام من المطعم.

وزاد وزن زوجتي كثيرا، وظلت تبتزني بالحشرات حتى فرغت جيوبي ومللت من أكل المطاعم، طلبتُ من زوجتي أن نغسل المطبخ وننهي

وجود الحشرات لكنها تعللت بأعذار سخيفة، وحينها قررت أن أنفذ حملة غسيل شاملة في المطبخ، غسلت كل الأواني وأخرجتها إلى الصالة، أغني أغنية قديمة لا أدري كيف تذكرتها، بعدها غسلت المطبخ جيدا، يومها اختفت الحشرات، أعددنا وجبة العشاء في المنزل وأنزاح عني كابوس الحشرات، لقد انتصرت.

في اليوم الثاني دخلت المطبخ ففوجئت بعودة الحشرات، لاحقتها وقتلت بعضها واختفت أخريات بين الصحون والأرفف، حاولت ملاحقتهن لكنني بدلا من قتلهن كسرت بضعة أطباق وأكواب وأصبت بإحباط شديد واشمئزاز وكدت أتقيأ.

بحثت عن أي منافذ تدخل منها الحشرات إلى المطبخ لأسدها فلم أجد، استسلمت وعدت لشراء الأكل من المطعم، لمحت في وجه زوجتي نظرة تشفي وفرح بما حدث فقلت لها:

– الحرب سجال والمعركة مستمرة.

ضحكت الزوجة وأنا أكاد أتميز من الغيظ.

شكوت إلى صديق ما يحدث لي فدلني على الشركة المصرية للتنظيف، اتصلت بهم وجاؤوا، فرشوا طرابيل كبيرة في الحوش، أخرجوا كافة أثاث المنزل إليها ثم قاموا برصه بشكل أهرام، غسلوا المنزل بالمطهرات المختلفة، فتحوا النوافذ وغادروا.

في المساء بقيت بالحوش أحرس الأثاث فيما الزوجة والأولاد في بيت عمي، بقيت أدافع النوم حتى انتصف الليل ونمت.

في اليوم التالي عادوا ونظفوا المنزل للمرة الأخيرة ثم دهنوا الجدران، وسدوا الشقوق، ألصقوا عليه أوراق مقوى لمناظر رائعة من سويسرا، أعادوا كل الأثاث إلى مكانه ثم أخرجوا لي فاتورة طويلة صعقت عند رؤيتها، مبلغ خيالي يفوق مرتب شهرين، فاوضتهم لساعات حتى خفضوا المبلغ إلى النصف.

صاح كبيرهم:

– احمد ربك دي كانت مزبلة.

وأضاف:

– دا أنت دي الوقت في سويسرا.

جمعت كل ما أملكه من نقود وسلمتها له، عدها ثم صاح:

– دا نص المبلغ يا أستاذ!

اقترحت عليه نقسط بقية المبلغ، لكنه رد بجفاف:

– مهلتك إلى آخر الشهر وإلا سآخذ الثلاجة بفلوسي.

بعد مغادرتهم اتصلت للزوجة فجاءت مع الأطفال ليجدوا المنزل قد تحول إلى جنة سويسرية.

وبمناسبة التجديد أشترت الزوجة كيلو لحم وطبخناه فيما الأطفال يحملقون في صور الحائط بسعادة.

وجاء آخر الشهر ودفعت للشركة بقية حسابها.

في اليوم التالي ظهرت الحشرات فجأة فكدت أصاب بالجنون وأنا أصرخ:

– أدفع كل ذلك المبلغ ولم تختف الحشرات؟!!

اتصلت بالشركة فرد عليّ مديرها ببرود قاتل:

– وأنا أعمل لك إيه يعني؟!

وأضاف:

– يمكن تجي من الحوش لو تحب نجي ننظفه ما فيش مانع؟

وسألته: بس تنظفوه مجانا لأني عميلكم.

ضحك كثيرا: كله بحسابه يا أستاذ ما فيش حاجة مجاناً.

لم أدر ماذا أقول له، أغلقت الهاتف في وجهه وأنا غير مصدق ما يحدث لي! استسلمت للواقع وقررت مواجهة الحشرات ما استطعت إلى ذلك سبيلا، لكن الحشرات تكاثرت إلى درجة أنها صارت تتجول بأعداد هائلة في المطبخ والصالة وبقية الغرف في شكل مثير للقرف والاشمئزاز!

أقرأ في كتاب فأجد الحشرات بين السطور، أرميه جانبا وأتحول إلى التلفاز فتتجمع لتغطي الشاشة ولا تترك لي إلا شريط الأخبار، لقد

وصلت بها الوقاحة إلى أنها كانت تأتي وتقتحم ثيابي فأحس بها تسرح في ظهري أو تعبر صدري فأقفز وأرمي ثيابي وألاحقها شبه عاري وأنا أتوعدها وأهددها بالإبادة الشاملة!

أثناء عودتي من عملي مع اقتراب العيد طلبت الزوجة بعض الجرائد لتنظف بها الأدوات فذهبت إلى الكشك المجاور واشتريت كمية من الجرائد الصفراء وعدت بها وحين ألقيتها في الصالة وخلعت جواربي التي لم أغسلها منذ أشهر فوجئت بالحشرات تغادر الصالة مسرعة وقد سدت فمها بيديها، أسرعت أفتح لها النوافذ، ثم حملت رزمة من الجرائد بيد وبالأخرى جواربي وطاردتها في كل أرجاء البيت حتى تم جلاء آخر حشرة!

علقت بعض الجرائد في المبطخ بجوار جوربي المعفن، وضعت الجورب الآخر في الصالة، ووزعت بقية الجرائد على أرجاء البيت ومن حينها اختفت الحشرات وإلى الأبد!

الكتاب الغريب!

منذ شرائي لهذا الكتاب لاحظت أمرا غريبا، وهو أنني كلما بدأت أقرأ فيه ولو عدة صفحات من الكتاب كلما هجم علي النوم، ولذا أخذت الكتاب إلى غرفة النوم وصرت قبل النوم أقرأ فيه عدة صفحات وأنام!

في البداية كنت أشك في الأمر، لعلي أذهب إلى الفراش وأنا مرهق فما إن أبدأ بالقراءة حتى أنام، لكن شكوكي تزايدت عندما بدأت أقرأ في الكتاب في غير وقت النوم فإذا بي أتثاءب وأذهب في النوم!

رويت هذه القصة لكل من في البيت، وفي البداية لم يصدقوني لكن الذي حدث أكد حديثي فكل من قرأ الكتاب هجم عليه النوم!

وانتشـرت هـذه القصـة في الأسـرة، وكلمـا أصـاب الأرق بعـض الأقارب، كلما أتصل بي يطلب الكتاب، المشكلة أن بعضهم يتصل بي بعد منتصف الليل وأنا أغط في نوم عميق ليطلب مني الكتاب لينام!

– يا أخي أنت أيقظتني من النوم!

– أحمد الله أنك نمت، أنام لم أنم.

– وما ذنبي أنا تزعجني الآن؟

– هات الكتاب المنوم يمكن أقرأ فيه وأنام.

تحـول الكتـاب إلى مصـدر إزعـاج لي فكـل النـاس يسـألون عنـه ويستفسرون عن قصة الكتاب، وما هو المكتوب فيه، وبعضهم جاء إلى المنزل ليرى الكتاب ويجرب القراءة فيه!

جـارنا وهـو مثقـف وأكـاديمي لم يسـتوعب الأمـر، وفي المقيـل جـاء وجلس معي وتحدثنا، ثم لم يلبث أن سألني عن الكتاب، ناولته الكتاب فقرأ منه عدة صفحات وحين لم ينم قال لي وهو يضحك:

– أرأيت قرأت الكتاب ولم أنم؟!

تعجبت ثم ذهبت إلى الداخل، وحين عدت صعقتني المفاجأة، لقد نام بسرعة مخيفة، كان يشخر، وقد سقط الكتاب من يده، فمه مفتوح، ورأسه ملقى إلى الخلف، كأنه تعرض لجرعة تخدير سريعة المفعول!

هززته بعنف فقام يهذي، وجمع حاجاته، ومضى وهو ينظر لي بشك وارتياب؟!

ما ألمني أنه وهو يغادر المنزل جعل يصيح:

– "ولا يفلح الساحر حيث أتى".

كررها حتى اختفى صوته.

لقد اتهمني بممارسة السحر وهذا ما لم يخطر لي على بال.

وفي إحدى الليالي المطيرة وأنا أغط في نوم عميق أيقظتني طرقات عنيفة على الباب وحين سألت الطارق صاح في بصوت أجش:

– أفتح

لم أعرفه لكنني تماسكت وفتحت الباب فاندفع صاحب المنزل بقميص نومه قائلا:

– هاته هيا

– الإيجار سأدفعه آخر الشهر

صرخ في وجهي:

– هات الكتاب

ناولته الكتاب فأخذه ومضى.

لقد جلب لي هذا الكتاب مشاكل أنا في غنى عنها!

في اليوم الثاني ذهبت إليه وسألته:

– هل نمت؟!

– قرأت نصف صفحة ونمت على طول

وأضاف:

– هذا الكتاب لن يخرج من عندي كلما أريد النوم سأقرأ فيه

لقد أسقط في يدي، بعد أن قرر صاحب المنزل مصادرته علي، فاجأني بقراره ولم أدر ماذا أصنع؟!

في اليوم الثاني ذهبت إلى المكتبة واشتريت نسخة جديدة من ذلك الكتاب، وحين أصبت بالأرق سارعت إلى الكتاب أقرأ فيه لأنام، ولكني بدلا من أن أنام بعد قراءة عدة صفحات إذا بي أقرأ صفحات وصفحات، ومر الوقت سريعا وإذا بي أُقرأ نصف الكتاب وأنا في غاية المتعة والتركيز!

واصلت قراءة الكتاب لعلي أنام ولكن دون جدوى، لقد قرأت الكتاب كله ومع هذا ما زلت مستيقظ!

– لعل في ورق ذلك الكتاب مادة عطرية منومة من يشمها ينام؟

هكذا حدثني طبيب بعد أن سمع بقصة الكتاب وبدا تفسيره للأمر معقولا، طلب رؤية الكتاب وفحصه لكن الكتاب كان قد استولى عليه

صاحب البيت، وأنا لا أريد الصدام معه فقد تعبت كثيرا حتى حصلت على هذه الشقة، ولا أريد مشاكل مع صاحب البيت.

ورغم أن صاحب المنزل قد أخذ الكتاب إلا أن طلبات الكتاب ما تزال تتواصل، هناك من يزورنا ليرى الكتاب، وهناك من يتصل، وهناك من يسألني عند رؤيتي مما اضطرني لكتابة لافتة على باب الشقة " الكتاب المنوم لدى أحمد عامر في الطابق الأعلى ".

بعدها توجهت أفواج الساهرون نحو شقة صاحب البيت حيث نال نصيبه من الإزعاج حتى فاض به الكيل فطرق بابي ذات مساء ورمى في وجهي الكتاب وهو يصرخ:

– خذ كتابك شغلونا خلق الله عليه.

مزق اللافتة التي تؤكد أن الكتاب لديه ومضى وهو يشتم وأنا ساكت.

عاد إلي الكتاب ولم تمض سوى ساعة حتى طرق الباب بقوة، فتحت وإذا بي بمجموعة من الجنود الذين اقتادوني مع الكتاب إلى سيارة

الشرطة، وهناك عصبوا على عيني ومضينا، حاولت أن أسألهم إلى أين سنمضي؟

ولكنهم التزموا الصمت، وبعد ساعة نزلنا في حوش كبير ثم صعدنا في قصر فخم جدا، تعرضت للتفتيش عدة مرات حتى وصلت إلى مجلس فخم، جلست على كرسي وجاؤوا إلي بالقهوة شربتها، وبينما أنا غارق في هواجسي وتفكيري أطل علي هو فألجمتني المفاجأة، لقد كان هو، صوره تملأ الصحف والشوارع، وأخباره في كل مكان!

– هات الكتاب.

قرأ صفحات منه ثم أبتسم وغط في نوم عميق على الكرسي.

خرج من خلف الستار بضعة أشخاص أشاروا لي بأن أصمت وأغادر المكان بهدوء.

عصبوا على عيني وأعادوني من حيث أتيت، وبعدها كل من سألني عن الكتاب ابتسمت ولا أجد إلا الصمت!

انقلاب غريب!!

صعقت عندما هجمت عليّ زوجتي بسكين المطبخ والشرر يكاد يتطاير من عينيها المحمرتين غضبا طالبة مني الاعتراف بالحقيقة، لقد شلني الخوف وجف ريقي وأنا أرى السكين يكاد ينغرس في رقبتي.

– اعترف.

– أعترف بماذا؟!

– بأنك خائن.

.....

– نورا وسعاد ودلال ميرفت وأروى وغيرهن..

– من هؤلاء؟ والله ما أعرفهن؟!

– يا سلام تكتب عنهن ولا تعرفهن؟!

أقسمت لها بأن هذه مجرد أسماء وهمية في القصص التي أكتبها وهي قصص من وحي الخيال، ولكي تصدق أمسكت بالمصحف وأقسمت بأن هذه الأسماء وهمية، مؤكدًا لها بأن القصص فن يعتمد على الخيال.

رمت السكين من يدها وانهارت باكية:

– أنا أتعب نفسي طوال اليوم في البيت والمطبخ ومع الأولاد وأنت تجلس لتتخيل النسوان وتتذكر أيام طفولتك وشبابك وتكتب!

حمدت الله أنها عقلت وأنني قد نجوت من موت محقق، كنت في حالة يرثى لها، العرق يتصبب من كل جسمي وفمي جاف ولساني ثقيل كأنه خشبة.

حاولت أن أشرح لها عن فن القصة وأن أربت على كتفها لتهدأ وأشيد بجهودها لكنها انتفضت والتقطت السكين من جديد وساقتني تحت التهديد إلى المطبخ حيث أشارت لكومة الصحون قائلة:

– تخيل هذه نورا وتحدث معها.

ولأني خشيت أن تتهور والسلاح يطول فقد غسلت الصحون.

بعدها ساقتني إلى الصالة:

– هذه دلال تحدث معها.

ولأني رجل عقلاني ولا أعمل عقلي بعقلها فقد نظفت الصالة والغرف بينما جلست هي على كرسي لتقرأ.

العرق يتصبب مني والتعب الشديد حطم جسمي وخصوصا ظهري، ارتميت على الأرض من شدة التعب ورحت في النوم.

ولا أدري كم نمت لكنني صحوت مفزوعا على صوتها، أشارت إلى المطبخ حيث تتكوم الخضار والأرز:

– هذه سعاد تفاهم معها.

ولأني رجل عصري وأجيد تقديم التنازلات فقد طبخت الغداء أيضًا.

لم يكن لدي مانع في مساعدتها في المبطخ والمنزل، بالعكس أستمتع عندما أطبخ بعض الوجبات، ما يحز في نفسي أنني أؤدي كل هذه الأعمال المنزلية تحت تهديد السلاح!

بعد الغداء وبعد أن شربت الشاي بالنعناع كنت أعتقد أنني قد نجحت في امتحان اليوم واثبت لها أنني قادر على القيام بأعمال المنزل وبجدارة.

اليوم قد قمت بواجبي واسترحت لكنها رمت أمامي بكومة من ثياب الأطفال:

– وهذه سلمى تناقش معها.

وغسلت ثياب الأطفال وعادت هي للقراءة.

ومضت الأيام وكأنني سجين محكوم عليه بالأشغال المنزلية الشاقة! وكأن الزوجة في إجازة طويلة منها!، وكلما مضى الوقت تعودت على الأعمال المنزلية بينما زاد إدمانها على القراءة!

لقد تعايشت مع الانقلاب الذي شهده المنزل وقلت في نفسي:

– سأتفرج إلى أين سيصل بنا الحال؟!

وبدأت أشتري كتب عن الطبخ وأشاهد برامج تحضير الوجبات وبدأت أتقن طباخة وجبات جديدة ونادرة في الوقت نفسه بدأت زوجتي تراكم كتب القصص وتقضي ساعات في قراءتها!

توقفت أنا عن قراءة وكتابة القصص وواصلت عملي المنزلي بسعادة، بصراحة كنت في البداية مكرها، ثم بدأتُ أجيد العمل المنزلي ثم اندمجت في الدور وأحببته، ولكني كنت أتساءل:

– إلى أين سيصل بنا الحال؟!

– هل هذه هي النهاية؟!

– هل سيأتي يوم وتطلب مني التوقف عما أفعله وتعود لعملها؟!

ثم حدث ما لا يخطر لي ببال.

لقد جاءتني ذات مساء وهي تبتسم بخجل وسلمتني قصة قصيرة قالت:

– صديقتي كتبت هذه القصة وأريد رأيك فيها.

أعرف خطها وأنها هي من كتبتها لكني رميت بالأوراق جانبا وأخبرتها بأنني قد نسيت القصص، الآن أنا فقط شيف محترم يجيد الطبخ والأعمال المنزلية فقط!

عندما رأيت انكسارها وحزنها أخذت الأوراق وقرأت القصة وبدأت أعلمها تقنيات كتابة القصص.

بعد أشهر نُشرت أول قصة لها في مجلة عربية فطلبت مني رأيي في القصة فأخبرتها أن القصة ممتازة وسألتها:

– من يكون محمود هذا؟

فأخبرتني أنه مجرد اسم وهمي.

مضت الأيام ونشرت زوجتي المزيد من القصص وتزايدت شكوكي وهواجسي، محمود وآسر وشاكر وسالم ووو مهند..

– هي وصلت لمهند؟!

أسرعت إلى المطبخ وعدت بالسكين والشرر يتطاير من عيني طالبًا منها بأن تعترف بخيانتها، ولا تحاول أن تزعم بأن كل هذه الأسماء في القصص التي تكتبها هي أسماء وهمية، وأن القصص فن يعتمد على الخيال!

مجرم رغم براءته!

– منذ متى وأنت توزع المخدرات؟

.....

– ترفض الإجابة؟!

.....

– لقد أفسدتم البلد ودمرتم الشباب، خربتم بلادنا يا دحابشة[1] يا كلاب، رحمناكم وقلنا إنكم من العمال المساكين وأنتم تتاجرون بالمخدرات يا كلاب.

[1] كلمة عنصرية يطلقها بعض أبناء الجنوب عن أبناء المناطق الشمالية.

– ستظل تنكر رغم أننا وجدنا رقم هاتف تاجر المخدرات في تليفونك؟!

ينطق الشاب أخيراً:

– يا فندم هذا رقم تاجر حَبوب بفتح الحاء يعني طيب وليس تاجر حُبوب مخدرات!

– كذاب يا كلب

صفعة عنيفة دوت في وجهه فطارت لها الشرر من عينيه، ترنح وسقط على الأرض وفي أذنيه طنين وضجيج، لم يعد يسمع شيئا ولا يرى سوى الظلام، فاضت دموعه حارة من عينيه ثم أجهش بالبكاء.

في الخارج تتساقط أمطارا غزيرة كدموع المقهورين لكن الحر ما يزال شديدا، الشاب أمجد العبسي يتصبب العرق منه ويرتعش من الجوع كأنه عصفور تحت المطر، ظل مكوما على الأرض لدقائق، المحقق يغرق في صمته، يدس في فمه المزيد من أوراق القات، يشعل سيجارة ويفث دخانها في الهواء ويظل واجما.

تهيأ العسكري لركله من جديد وهو يصيح:

– قوم يا كلب وجاوب على الأسئلة.

نهض الشاب سريعا حتى يتفادى ركلة العسكري، ولم يكد يقف على الحصيرة البالية وهو يرتجف من البرد والجوع والخوف حتى صاح به المحقق:

– مش ناوي تعترف؟

وقبل أن يتكلم يفاجأ بركلة عنيفة من الخلف قذفت به إلى ركن الحجرة كأنه كرة!

باغته ألم شديد أسفل ظهره، من المؤكد بأن جزمة العسكري الواقف قد دخلت في ظهره، تأوه من ألألم ونهض واقفا وقد أزداد عرقه وأشتعل جسده بحمى مخيفة.

– يا فندم اتصلوا بهذا التاجر، تأكدوا منه، اعملوا تحرياتكم، لماذا التعذيب والضرب قبل الإدانة؟!

فاجأه المحقق بالسؤال:

– من هو رئيس دولة الجنوب؟

– عيدروس الزبيدي

– فخامة الرئيس عيدروس قاسم الزبيدي يا كلب.

ودوت صفعة أخرى على وجهه ترنح لها وكاد يسقط.

نهض المحقق وغادر مع العسكري، أغلقوا الباب من خلفهم وتركوه جثة محطمة.

سجل المحقق رقم هاتف التاجر وطلب من مساعديه التحري عنه وتجهيز ملف كامل عنه واحضاره بالغد لأخذ أقواله.

الساعات تمضي بطيئة مخيفة والجوع وحش لا يرحم، نهض من الأرض وتحامل على نفسه ثم دق الباب بعنف:

– يا ناس أنا جائع أرحمونا بموت

ظل يضرب الباب ولا مجيب.

بعد نصف ساعة جاء العسكري وناداه:

– ما تشتي يا مجرم؟

– جائع أريد عشاء وماء

قال الجندي ساخرا:

– ما عاد أيضاً تشتي ربطة قات تسمر؟!

.....

رق الجندي لحاله وسأله:

– طيب معاك فلوس؟

مد يده وأعطاه خمسة ألف ريال.

غاب الجندي، وبعد ساعة أحضره له نفر فاصوليا وكيس خبز وعلبة ماء.

قال الجندي وهو يفتح الباب ويسلمه الأشياء:

– شوف أنا رحمتك وخالفت الأوامر وجبت لك العشاء والماء وهو ممنوع.

أخرج من جيبه عشرة ألف ريال ودسها للجندي وهو يقول له هامسا:

– قيمة قاتك.

غادر الجندي وبعد ساعة عاد إليه بفراش وبطانية وكيس من القات.

في الصباح جاءه الجندي على عجل وسحب منه الفراش البطانية حتى لا يراها المحقق ومد يده إليه بسندوتشات في كيس.

دس في جيب الجندي عشرة ألف ريال أخرى، كان جائعا فالتهم السندويتشات على عجل.

في اليوم التالي أحضروا التاجر وأخذوا أقواله، وبعد التحري عنه تأكد لهم أن لا علاقة له بالمخدرات.

بعدها فتشوه بدقة بحثا عن حبوب المخدرات فلم يجدوا شيئا، جاؤوا بطبيب فحصه، وكانت النتيجة عدم تعاطيه للمخدرات، جاء أبناء الحارة وشهدوا له بحسن السيرة والسلوك وأنه مجرد عامل في بقالة ورغم هذا كله فقد رفض المحقق الإفراج عنه، وأشترط أن يدفع ثلاثمائة ألف ريال حتى يطلق سراحه رغم تأكده من براءته!

ظل لأيام مرميا في المعتقل، يعطي كل نقوده للعسكري مقابل أن يوصل له الطعام وقليل من القات وفراش وبطانية في الليل!

وبعد أسبوع باع والده في القرية ثوره وتم دفع المال للمحقق ليفرج عنه، بعدها غادر عدن وإلى غير رجعة.

حقيبة مروان

منذ أثمرت شجرة التين الشوكي التي بجوار منزلنا وأنا أحاول الوصول إلى ثمارها قبل غيري من الكبار القادرين على الوصول إليها دون الحاجة إلى من يرفعهم من الأرض مثلي.

تزداد ثمار التين اصفرارا ونضوجا ويزداد قلقي أن يسبقني غيري إليها، وبعد طول تفكير ركبت الحمار لأصل إليها، ما ان بدأت أقطف ثمارها حتى وصل أخي يجري ويصيح فرحاً:

– ابن عبد الله علوان مات.

ألقيت بثمار التين وقفزت من فوق الحمار، جرينا وأخي حفاة نحو منزل عبد الله علوان في القرية المجاورة فيما أمي تصرخ خلفنا:

– ارجعوا يا "مفضوحين" الله يهديكم.

لم نلتفت لنداء أمي فقد كنا نتخيل أنفسنا في الملابس والأحذية الجديدة والمكسرات والحلوى والكعك الذي سيوزع صدقة على روح الطفل.

ندوس الأشواك والأحجار، نجري ونلهث، العرق يتصبب من وجوهنا ونحن نسابق الأطفال الذين بدأوا يتقاطرون من مختلف القرى ليشكلوا تجمعا كبيرا أمام منزل عبد الله علوان.

منذ عامين ونحن نحسد هذا الطفل المدلل نجل أكبر تاجر في المنطقة، نصوب على ملابسه وحقيبته المدرسية وأقلامه ونقوده سهام عيوننا وها هو يموت ونتجمع لنيل نصيبنا من الصدقات التي ستوزع على روحه.

اخترقت وأخي صفوف الأطفال الذين تجمعوا أمام المنزل وعند الباب كادت امرأة أن تمنعنا من الدخول لولا ان اشارت عليها أم الطفل بإدخالنا لتقودنا إلى المخزن المكتظ بكل المواد الغذائية والملابس، خلعنا

ملابسنا واخترنا أجمل الملابس الجديدة، ومن خزانة الطفل أخترنا الأحذية اللامعة.

استملنا نصيبنا من الكعك والحلوى، دهنوا رؤوسنا ومشطوا شعرنا، كنا في عيد، بقينا نلعب ونمرح، لا نبالي ببكاء النساء وصراخهن وكأننا في عالم آخر!

غادرت بعد أن قنعت بما لدي من ملابس وكعك وحلوى، في منتصف الطريق تذكرت حقيبة الطفل المدرسية التي بقيت لعامين أتمنى الحصول على واحدة مثلها، وحينها عدت مسرعا إلى منزل عبد الله علوان، بحثت عن غرفة الطفل حتى اهتديت إليها، لكنها كانت مغلقة، تبخر حلمي وشعرت بحزن كبير وغادرت على أن أعود في اليوم التالي إلى منزل الطفل للحصول على الحقيبة.

في منتصف الطريق غيرت رأيي وقررت العودة والحصول على الحقيبة الآن قبل أن يسبقني إليها طفل آخر.

الغرفة لا زالت مغلقة، داهمتني الحيرة كيف أفعل لأصل إليها فقد صممت على نيل حقيبة الطفل مروان بأي وسيلة؟!

قررت الذهاب إلى والدة الطفل وطلب الحقيبة منها، بحثت عنها في غرف النساء القادمات للعزاء حتى وجدتها تقدمت إليها وصافحتها وأجهشت بالبكاء فضمتني إلى صدرها ومسحت على رأسي قائلة:

– تبكي على مروان زميلك بالمدرسة؟

قلت لها بكل صراحة:

– لا أبكي عليه أريد حقيبة مروان والأقلام والدفاتر

ضجت النساء بالضحك ولا أدري كيف طلعت أمي من وسطهن وسحبتني من أذني كخروف إلى خارج إلى المنزل وهي تهددني وتتوعدني بالضرب المبرح:

– بعيني لما نروح البيت يا قليل الأدب فضحتني الله يفضحك.

عادت أمي إلى النساء وفي أذني طنين، شعرت بأن الدنيا تدور أمامي وداهمني صداع وألم شديد في أذني.

رغم الألم الشديد ووعيد أمي وتهديدها قررت ألا أستسلم فهذه الحقيبة هي حلمي منذ عامين.

صعدت إلى مكان الرجال، كان مكتظا على آخره بالمعزين، اقتحمت المجلس ألقيت عليهم السلام وصافحتهم جميعا ثم ذهبت إلى عبد الله علوان وقفت أمامه هممت أن أطلب منه الحقيبة ولكنني لم أستطع، أحسست بالخجل أمام الحضور، ثقلت لساني وارتبكت، ووجدتني أجهش بالبكاء فأجلسني إلى جواره ودس في جيبي مائة ريال وقال للحضور:

– هذا زميل مروان في المدرسة لم يتحمل فراقه.

قالها وأجهش بالبكاء وبكى من في المجلس وترحموا على الطفل.

وبدأ الناس يثنون علي:

– الطفل هذا وفي يحب زميله المرحوم.

– هذا ليس كبقية الأطفال الذين يلعبون في الخارج.

– ليت كل الأطفال يكونوا مثله.

– طفل ذكي جاء إلى والد زميله ليعزيه.

ولا أدرى كيف وقفت أمام الجميع وقلت:

– أنا لا أبكي على مروان

صدم الجميع بحديثي وصمت كل من في المجلس وصوبوا نظراتهم إلي.

وبكل براءة قلت:

– أريد حقيبة مروان وأقلامه والدفاتر

انهار عبد الله علوان ضاحكا وضحك كل من في المجلس.

وفوجئت بعبد الله علوان يقول لي:

– هات حقي المائة ريال.

وأضاف وهو يضحك ويمسح دموعه:

– ظننت أنك تبكي حزنا على ولدي وأنت تريد حقيبته!

فوجئت بطلبه الذي أحزنني، مكرها مددت يدي إلى جيبي أخرجت المائة ريال وقلبي يأكله الغيظ لخسارة النقود مددت يدي إليه بالنقود لكنه فأجاني بأن أعادها إلي قائلا:

– أنا أمزح عليك، الله يهديك ويصلحك.

سلمني حقيبة مروان بما فيها فغادرت إلى منزلنا وأنا أكاد أطير من الفرح، من بعيد لمحت أمي تنتظرني بعصا غليظة وتتوعد:

– فضحني والله ما تفوت له.

هربت إلى منزل عمي يغمرني الفرح بموت مروان وحصولي على حقيبته!

دادح من عنة

لم يكد الشيخ يكمل صلاة الفجر وينهض إلى مجلسه ليرتشف قهوته حتى تناهت إلى سمعه طرقات عنيفة على البوابة، أسرع وفتح النافذة المطلة على الباب:

– من؟

وأضاف الشيخ بغضب:

– من هو هذا الذي أقبل في هذه الساعة؟!

جف ريق الرعوي عند سماعه صوت الشيخ لكنه تماسك قائلا بصوت واهن:

– عبده أحمد من قرية أكمة العسيق.

نادى الشيخ أحد وأولاده وسلمه مفتاح البوابة، وبعد لحظات كان الرعوي قد مثل بين يديه وقد صافحه وقبل رأسه وهمس:

– قم معي الآن يا شيخ

استغرب الشيخ من حديثه:

– خير إن شاء الله ما قد حصل؟!

وأضاف الشيخ:

– هل هناك قتيل؟

ابتسم الرعوي وهمس:

– لا ما فيش قتل ولا مشكلة، في خير كثير.

ابتسم الشيخ وبدت على وجهه بشائر الفرح وهمس له:

– أكيد وجدت كنز؟

أبتسم الرعوي وتشجع قائلا:

– شيء أكبر من الكنز، أنت قم معي الآن وبس.

صاح الشيخ بأولاده وعساكره بأن يتجهزوا، أسرع يلبس ثيابه وأنطلق الجميع نحو أكمة العسيق، كان أولاد الشيخ وعساكره يتساءلون عما حدث؟

دون أن يجيب أحد أو يجرؤ على سؤال الشيخ!

الطريق إلى "أكمة العسيق" وعرة، والقرية بعيدة في رأس جبل، لكن الشيخ كان يحث الخطى سريعا وليس في ذهنه سوى الكنز، أكوام من الذهب واللؤلؤ والمرجان والحلي، لقد سمع كثيرا عن كنوز مدفونة في تلك المناطق وها هو الله قد رزقه إحداها، وحمد الله في سره وشكره، قرر الشيخ في سره أن يمنع وبحزم أي تسرب للخبر لأي إنسان.

إذا تسرب الخبر للحكومة فلن يستطيع الشيخ مراضاتها، وحتى مشايخ المناطق المجاورة إذا سمعوا بالكنز سيأتون إليه يريدون نصيبهم، سيعطي المواطن نصيبه وسيأخذ الباقي بصناديق مغلقة في الليل، سيبقي

الأمر سرا وسيخبر رفاقه أن في هذه الصناديق أوراق وبصائر، سيأخذها في الظلام إلى غرفة نومه، حتى أولاده سيكتم السر عنهم حتى يرتب أموره.

بعد ساعة من السير الجاد أطلت القرية فتنفس الشيخ الصعداء وجفف عرقه وهو يصيح بسرور:

– يا فتاح يا رزاق يا عليم يا قاضي الحاجات يا كريم.

وأضاف وهو يحدث الرعوي:

– رزق الصبح هذا فيه الخير والبركة.

كانت الحيرة قد ألجمت أولاد الشيخ وعساكره الذين ساروا خلفه بصمت وفي أعينهم الكثير من الفضول والشوق لمعرفة ما حدث.

الكثير من المواطنين عندما رأوا الشيخ هرعوا يصافحونه ويدعونه لتناول الصبوح في منازلهم لكنه أعتذر لهم وأكد لهم أنه يريد الذهاب إلى شيخ العزلة المجاورة فهناك مشكلة طارئة تستدعي حضوره.

من فوق بيوت القرى المتناثرة ترتفع خيوط من الدخان فيما بدأت قطعان من الأغنام والمواشي تغادر بعض البيوت نحو المراعي.

وصل الشيخ ورفاقه إلى منزل عبده أحمد، علقوا بنادقهم وشربوا القهوة، جاء عبده أحمد وأصطحب الشيخ إلى غرفة داخلية شبه معتمة، جلس الشيخ يتأمل جدرانها الكالحة فيما غاب الرعوي للحظات وجاءه بصحن فيه جفنة من الطعام..

قال الشيخ:

– قصدك نصطبح وبعدها نفتح الكنز؟

رد الرعوي ببراءة:

– أي كنز يا شيخ؟!

نهض الشيخ واقفا وقد استشاط غضبا:

– الكنز الذي جئت بي من بيتي هذه الساعة لأجله.

أشار الرعوي إلى جفنة الطعام قائلاً:

– يا شيخ هذا صبوح ذرة رومي جئت بكيزانها الخضراء أمس من عنة[1] وسحقناها وصلحناه صبوح بالحليب والسمن فقلت: هذا الصبوح لا يصلح إلا للشيخ فجئت إليك لتأتي وتأكله.

أمسك الشيخ بتلابيب الرعوي وصاح به:

– أين الكنز يا عبده أحمد؟!

أجابه وهو يرتعد في يديه مثل عصفور:

– والله ما في حاجة إلا هذا الدادح[2]

زاد غضب الشيخ وصاح به:

– الله يفضحك إذا كنت جئت بي من منزلي هذه الساعة من أجل هذا الصبوح.

---

[1] عنة: نهر في مديرية العدين محافظة إب.

[2] الدادح: حلوى تعطى للصغار.

أجهش عبده أحمد بالبكاء فتركه الشيخ وغادر منزله غاضبا فتبعه أولاده وعساكره فأشار إليهم:

– سوقوا حقه البقرة أدبه.

نهاية الوهم الجميل!

عندما رأيت تلك الأزرار الذهبية في جاكيت جارنا التي جاء متدثرا بها على أثر مطر غزير لمعت في ذهني فكرة الاستحواذ على هذا الكنز الثمين، كنت أرى أن كل ما يلمع ذهبا، لذا فقد تسللت إلى تلك الأزرار الذهبية ونزعتها كاملة وأخفيتها في مكان آمن، وبدأت بعدها أفكر في كيفية استثمار هذه الثروة الكبيرة التي هبطت عليّ فجأة!

لم أفكر حينها أنني قد سطوت على ذهب جارنا، قلت في نفسي حينها:

– لديهم الكثير من الذهب في ملابسهم لكنهم لا يعرفون كيف يستثمرونه!

انتصف الليل ونام الجميع وهدأ كل شيء سوى صرير الجدجد ونباح كلاب من بعيد، أتقلب في فراشي وأفكر جديا ماذا سأصنع بهذه الثروة الكبيرة؟!

كنت كطفل في العاشرة من عمره وكسب في مسابقة يانصيب مليون دولار دفعة كاملة، وأستلم المبلغ سرا وأخفاه ولا يدري ماذا يصنع به؟!

هل أشتري مجموعة من الحراثات التي تعمل في الحقول وأوظف عليها مجموعة من العمال الماهرين ثم سأجلس وأستلم الأموال؟

المشكلة أن أهالي المنطقة كلهم أقاربنا وبالتأكيد كلهم سيسعون لأن نحرث أرضهم مجانا، أو حتى بنصف القيمة وعليه فلن أحقق الأرباح المطلوبة، وحتى إذا كسبت بعض الأموال سيأتون لطلب القروض مني، بالتأكيد سأحرج نفسي مع أهلي وأقاربي، وأنا في النهاية طفل صغير كلهم سيتحولون إلى أوصياء علي.

بعد نصف ساعة من التفكير ألغيت هذه الفكرة، وقررت التفكير بمشروع آخر!

سأبني مزرعة دجاج كبيرة بطول 5 كيلو تنتج كل يوم ألف فرخة على الأقل، وسأشتري عشر سيارات للتوزيع على كل القرى والمناطق.

وسأبني بجوارها مزرعة للخراف، سنبيع كل يوم منها مائة خروف، لكن هذه المشاريع تحتاج إلى جيش من العمال ورواتب وسكن وإدارة، هذا طبيعي كل مشروع كبير يحتاج لطاقم عمل كبير.

وبقيت أفكر في مشاريع شتى حتى بدأت الديوك تصيح مؤذنة بقرب الفجر وحينها تسلل النوم إلى أجفان رجل الأعمال الصغير ونام!

في الصباح أفقت على سيل هطل عليّ فجأة، قمت مذعورا لأجد أمي قد صبت فوقي دلوا من الماء بعد أن ظلت لساعة كاملة تحاول إيقاظي دون جدوى.

بدلت ثيابي وكلي ضجر من الإهانة التي تعرضت لها كرجل أعمال لا يقدره أهله، لكنني صبرت وتحملت فغدا ستظهر مشاريعي وتثمر وسيعرفون قدري.

في المدرسة كنت شارد الذهب أفكر بالمشاريع والثروة والحسابات والإدارة والربح والخسارة، سألني المدرس:

– محمد ما هي عاصمة سوريا؟

أجبته وأنا شارد الذهن:

– مزرعة دجاج ومزرعة خراف.

ضج الفصل بالضحك، انتبهت على ضحكاتهم وعدت إلى الواقع.

قال المدرس:

– ركز يا محمد معنا في الدرس.

بعد قليل عدت بذهني إلى إدارة مجموعة شركاتي وإذا بمدرس الجغرافيا يباغتني بالسؤال التالي:

– محمد أذكر اسم ميناء سوريا؟

أجبته وأنا في قمة نشاطي التجاري:

– عشر حراثات جديدة.

ضج الفصل بالضحك.

صاح المدرس:

– أنت لست معنا يا محمد.

– هاه، ما هو السؤال يا أستاذ؟

– تعال يا محمد.

قمت وذهبت إليه وسط نظرات وضحكات الطلاب والطالبات الذين لا يعرفون قدر رجل أعمال سيفخرون يوما أنهم كان زملاء له.

بقيت واقفا رافعا يداي للأعلى ووجهي للحائط، لم تمض سوى لحظات حتى عدت إلى مشاغلي التجارية وأنزلت يداي ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ذهبت إلى الكرسي المخصص للمدرس وبدأت أدير شركاتي، كان المدرس منهمك في الشرح عندما طلبت منه أن يقدم لي

كشف حساب بإيرادات هذا الشهر، تخيلته موظفا لدي ووجهت إليه أوامري!

ضج الفصل بالضحك، طردني المدرس وألقى بحقيبتي بعدي وأغلق الفصل فحمدت الله أنني قد تفرغت لحساباتي التجارية!

بقيت لأيام غارقا في مشاريعي الافتراضية ذاهلا عن العالم حولي، تركت الدراسة وبقيت أدير مشاريعي من المنزل!

تناديني أمي فلا أجيبها، بين يدي الأوراق والأقلام والحسابات والمخططات، لقد اعتقدت أمي أنني قد أصبت بالجنون فجعلت تحوقل وتبسمل وترقيني من العين والأرواح الشريرة ومن شر حاسد إذا حسد.

تركتها تمارس طقوسها وتتلو تعاويذها علي وغرقت إلى أذني في مشاريعي التجارية.

ذات صباح وبينما كنت غارقا في حساباتي انتبهت لأمي وهي تشكو من نفاذ المواد الغذائية وانعدام السيولة المالية، قلت في نفسي:

– كيف تكون والدة رجل أعمال وتشكو؟!

قررت أن أعطي أمي جزء بسيط من الذهب تسد فيه حاجتها المالية، ذهبت إلى المكان الذي أخفيت فيه الأزرار الذهبية وجئت بزرار منها وذهبت إليها وهمست إليها:

– خلاص امسحي الفقر بهذا الذهب.

وضعته في يدها فنظرت إليه باستغراب ورمت به إلى الأرض قائلة:

– ماذا أفعل بهذا الزرار؟

– هذا بيعيه وأشتري حاجاتك.

– ومن قال لك أنه ذهب؟!

جف ريقي وتكركبت أحشائي من الخوف لكنني تماسكت قائلا:

– كيف ليست ذهب وهي صفراء مثل الذهب الذي معك تماما؟!

ضحكت أمي وأكدت لي أن هذا صفر ولا يساوي شيئا، وفجأة انهارت كل شركاتي التجارية ومشاريعي وطموحاتي، بكيت بحرقة وسقطت مريضا، كنت كمن خسر كل أمواله في صفقة بالبورصة، ومن

حسـن حظـي أنـني لم أصـب حينهـا لا بجلطـة ولا نوبـة قلبيـة ولا سـكتة دماغية!

مكان للتذكر!

ضيعت مفتاح الخزنة!

لم يكن في خزنتي المنزلية الكثير من المال رغم كبرها لكنه كان يكفينا بالكاد حتى اخر الشهر.

المشكلة ليست في النقود التي في الخزنة فالنقود يمكن أن ندبرها ولكن المشكلة في الأوراق الهامة التي وضعها بعض الأقارب والأصدقاء أمانات عندي وهي كثيرة وإذا طالبوني بها ستكون مشكلة واحراج كبير لي لأن المفتاح الضائع هو الوحيد والخزنة يصعب فتحها أو كسرها لسماكتها وكبرها، أتذكر أنني حين اشتريتها اضطررت لجمع سبعة من الشباب مفتولي العضلات لنقلها للدور الثالث حيث أسكن.

كان المفتاح بحوزة الزوجة ولكني في فورة حماسة قررت استعادة حقي المسلوب في إدارة الأمور المالية في المنزل والتحرر من تسلط الزوجة وهيمنتها على وزارة المالية، ورغم إفلاس وزارة المالية في منزلنا إلا أنني قررت اتخاذ خطوة رمزية نحو الاستقلال واستعادة السيطرة على الأمور.

بدت زوجتي مستغربة من طلبي لمفتاح الخزنة واشعارها أنه سيظل بحوزتي كقرار نهائي لن اتراجع عنه مهما حدث فالرجولة مواقف وقرارات وقد اتخذت القرار!

سلمتني الزوجة مفتاح الخزنة محذرة من اضاعتي له فقلت وأنا أفتل شاربي: "عيب هذا الكلام"!

ولم يمض عدة أيام حتى اضعت المفتاح ووقعت في المحذور وفي البداية لم أخبرها حتى لا تشمت بي وتضحك على خيبتي ولذا كثفت البحث عنه بصمت وفي كل مكان، قلبت كل زاوية وركن في المنزل ولكن دون جدوى وبقيت استدين من البقالة حتى أعتذر لي البقال بلطف، وفي النهاية قررت إبلاغها بالأمر وليكن ما يكون ولعلها ربما قد وجدته ولم تخبرني لتؤكد لي أنني مهمل ولست على قدر المسؤولية.

عندما أخبرت الزوجة بضياعي لمفتاح الخزنة أنكرت علمها به ولما وجدتني غير مصدق لها أقسمت الأيمان المغلظة أنها لم تره منذ سلمته لي.

واصلت البحث عن المفتاح في كل ركن وزاوية في البيت ولكن دون جدوى، لقد اختفى المفتاح كأنه تبخر!

يا الله أين وضعته؟

ألم يكن في جيبي فأين سيذهب؟!

استسلمت للأمر وقررت أن استلم الراتب مقدما وقد أخبرت أمين الصندوق بما حدث لي فضحك كثيرا ونصحني أن أعيد المفتاح للزوجة وحدثني عن نجاح النساء في إدارة الأمور المالية وحسن تدبيرهن عكسنا نحن الرجال وأن زوجته هي من تشتري مصاريف البيت وكسوة الأولاد وكافة الاحتياجات وأن الشي الذي يشتريه بألف ريال تشتريه هي بخمسمائة ريال ووو ولما مللت من حكاياته سألته:

– هل ستصرف لي الراتب الآن أو لا؟

تكرم أمين الصندوق وصرف لي الراتب في منتصف الشهر كأمر استثنائي لكنه نصحني بأن اتعظ من فشل ثورتي على النظام القديم وأعيد الأمور المالية للزوجة.

وعدت للمنزل وفي طريقي أكلت ثلاثة من كيزان الذرة المسلوقة فأصابني مغص شديد وأسرعت إلى الحمام وفي ذروة الإسهال الشديد تذكرت أين وضعت المفتاح فصبرت حتى انتهيت من الحمام واسرعت إلى الجاكيت الذي خلعته منذ أيام بعد أن اتسخ واستبدلته بأخر وبالفعل وجدت مفتاح الخزنة في جيب الجاكيت وتعجبت كيف بحثت في كل مكان البيت ونسيت الجاكيت الذي كنت ألبسه؟!

اليوم كلما نسيت شيئا أخرج باحثا عن بائع الذرة المسلوقة لأكل ثلاثة من كيزان الذرة وأعود سريعا إلى الحمام لأتذكر ما نسيته!

سقوط الخرافة

حين يختفي الظل بجوار منزلنا ويرتفع أذان الظهر من مساجد القرية تعود أمي من الحقل وعلى رأسها حزمة كبيرة من الحشائش والبرسيم، تطرح جزء منه للبقرة وتضع ما بقي منه فوق الخزان.

في الصباح قبيل أن تغادر تجهز كل شيء ثم توصيني:

– إذا جاء خالك أخرج الطفل وأجعله يدخل أولا ثم أدخل الطفل.

ألتفت إليها مستغربا فتضيف:

– إذا دخل خالك والطفل بالداخل أجعله يضع أصبع رجله اليمني على سرة الطفل.

يزداد تعجبي ودهشتي فتوضح لي:

– حتى لا يمرض الطفل إذا دخل عليه فجأة.

لم أفهم ماذا تقصد أمي، أظل بجوار المنزل أراقب كل الطرق منتظرا قدوم خالي لكنه لم يأت.

وفي اليوم الثاني كنت ألعب بجوار منزلنا عندما جاء خالي، فرحت بوصوله وفتحت له الباب فدخل.

أخرجت أخي من مهده وقدمته لخالي أحتضنه وهو يقول:

– ما شاء الله تبارك الله.

وسألني ما اسمه:

– عبد الرقيب.

أعدته للمهد ثم سألته:

– يا خال لماذا لا تضع رجلك على سرته؟!

ضحك وهو يقول:

– أكيد أمك قد أوصيتك بهذا، أعرف أختي ستظل طول عمرها متمسكة بهذه الخرافات!

جلس خالي لمدة ساعة يسأل عن أحوالنا ثم ذهب.

عادت أمي فأخبرتها بأن خالي قد جاء ودخل على الطفل ثم رفض أن يضع رجله على سرته.

شحب وجهها واعتراها خوف مفاجئ، ذهبت تطمئن على الطفل وهي تحوقل وتبسمل وتقرأ المعوذات وتسأل الله الستر واللطف.

– هل أعطاك شيء؟

– عشرة ريال وهذه الفواكه.

في المساء عادت أمي إلى الحقل وأوصتني بالطفل، خرجت ألعب وتركته وعندما سمعت بكاءه حملته في المهد إلى جوار المنزل وبقيت ألعب، جاءت الدلالة التي تبيع الثياب للنساء وحين رأت الطفل في

المهد بجوار المنزل والريح تهب قوية حملته إلى الداخل وحذرتني من تركه بين الريح والشمس.

في اليوم الثاني كان الطفل يئن ويحشرج وقد ارتفعت حرارة جسمه، لم تذهب أمي للحقل، غسلته بماء بارد فزاد صراخه ثم هدأت الحمى في جسمه، لكن الحمى عاودته، سالت دموع أمي وتمنت أن خالي لم يأت، كنت أعلم أنني السبب، شعرت بالندم وهممت أن أعترف لأمي بما حدث لكنني خشيت من عصاها التي لا ترحم، وحين جاءت الدلالة فررت.

صعدت السطح وأصغيت لحديثهن من فتحة المنور، أخبرتها الدلالة بأنني كنت ألعب ووضعت الطفل بين الريح والشمس فأصيب بنزلة برد، قررت أن أرجم الدلالة بحجر عندما تخرج من بيتنا ومع هذا فقد أصرت أمي على أن قدوم خالي ودخوله البيت على الطفل فجأة هو سبب مرض الطفل، ونجوت من الضرب.

صباح اليوم التالي أيقظتني باكرا وأعطتني 100 ريال وأمرتني بالذهاب للفقيه ليكتب للطفل تميمة تشفيه من المرض وحجاب يحصنه من العين.

– لكني لم أفطر.

– ستفطر في بيت الفقيه.

وأضافت:

– زوجة الفقي تعرفني جيدا وستعطيك مشقر وريحان لي.

طوال الطريق بقيت أفكر في الكلب المناوب في باب منزل الفقيه كحارس يقظ، قطعت لي عصا من شجرة أدافع عن نفسي إذا هاجمني كلب الفقيه ومن حسن حظي أنني وصلت والكلب نائم فتسللت إلى الداخل بحذر.

بعد الإفطار أعطيت الفقيه النقود وأخبرته بطلب أمي، أخرج من جيبه عشرة ريال ودسها في جيبي، صار في جيبي عشرين ريال.

أخذ ورقة وكتب فيها ثم أوصاني بأن نبخر بها الطفل ثم أخذ ورقة أخرى وكتب عليها ثم غلفها بالجلد وربطها بخيط وسلمني إياها لنضعها حجاب في رقبة أخي.

خرجت من عنده فسألتني زوجة الفقيه:

– أنت ابن نورا؟

– نعم.

– ما اسمك؟

– حسن.

– لحظة سأقطف لأمك تين ومشقر[1].

وظلت تثرثر:

– كنا نرعى البقر سويا.

[1] المشقر: نباتات زكية الرائحة تتزين بها النساء.

– ألم تخبرك أمك أنني صديقتها وما تفرقنا إلا عندما تزوجت؟!

– هل أخبرتك أن بقرتها ردعتني وكادت تقتلني لولا نجدة الراعيات؟

سلمتني التين والمشقر وأوصتني أن أسلم على أمي.

في الطريق فتحت الورقة وقرأت المكتوب فيها:

"إن فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار".

كانت هذه العبارة مكررة في الورقة كلها.

ربطت أمي الحجاب على رقبة الطفل ثم بخرته بالورقة الأخرى فزاد سعاله وزادت الحمى.

في كل صباح تغسل أمي الطفل بالماء البارد وتدهن جسمه بالزيت حتى تعافى.

مرت أيام وأسابيع وليس في ذهني غير سؤال واحد: ماذا كتب الفقيه في الحجاب؟!

وقلت في نفسي:

– إذا كان الفقيه قد كتب "إن فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار" فإني أستطيع كتابة هذه العبارة وآخذ النقود لي.

فتحت الحجاب وقرأت ما في الورقة، ودهشت حين وجدته قد كتب فيها: "الله يجعلكم طول عمركم جهال ويكثر لنا من الأموال"!

اشتريت قلم حبر أسود كقلم الفقيه وأوراق كأوراقه، وكلما أرسلتني أمي أو أهل القرية إلى الفقيه أذهب إلى منتصف الطريق وأكتب على الورق: "إن فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار"، أتأخر قدر مسافة الطريق ثم أعود بعد أن سطوت على النقود واحترفت الخرافة!

مصيبة خالتي غنية!

بعد مطاردة مضنية استطاعت أمي أن تلقي القبض عليّ وأن تنتزع من بين أسناني السن التي ارتخت كثيرا ولم اجرؤ على نزعها، أغلقت فمي بشكل دائم خشية أن يعيرني الأطفال بأنني "أفرم"[1] كنت جاهزا لرشقهم بالحجارة في حال وصفي ب– "الأفرم".

لم تنته طقوس نزع السن فقد ايقظتني أمي باكرا، صعدت فوق الأكمة بجوار منزلنا وما إن بزغت الشمس حتى رميت لها سني وقلت لها كما علمتني أمي:

[1] الأفرم: منزوع السن.

– يا شمس يا طاسة يا طرمباسة بالبحر غواصة أعطيني سن غزال ولا تعطيني سن حمار.

مرت أيام وبدأت أحس بأصبعي السن الجديدة التي نبتت، تشوقت لرؤية سن الغزال الذي سينبت في فمي، أنا لا أعرف الغزال لكني بعد أيام سأرى سنه في فمي.

بعد أيام صحوت باكرا للذهاب إلى المدرسة لكنني لم أستطع فتح عيوني كأن هناك من أغلقها بصمغ قوي أثناء نومي، هل هي مزحة سخيفة من إخواني أم أنني قد أصبت بالعمى؟!

صرخت من الخوف، أخبروني أنه رمد وسينتهي بعد أيام، غسلت أمي عيوني بالماء الحار واستطعت أن أفتحها قليلا وأرى، قالت أمي:

– اصعد إلى الأكمة ونادي على الناس الذاهبين إلى السوق حتى يجيبوك.

– وإذا أجابوني ماذا أقول لهم؟

قل لهم:

– بعيوني جد المجدي يلعن أبو جدكم على جدي.

قلت مستغربا:

– لماذا ألعن جدهم وجدي؟!

قالت أمي بجدية:

– إذا أردت أن تشفى من الرمد لابد أن تقول هكذا.

صعدت إلى الأكمة بجوار منزلنا وناديت على المتسوقين حتى أجابوني فلعنتهم ولعنت جدي معهم وعدت.

بعد جفاف طويل هطل المطر غزيرا فصعدت خالتي غنية إلى الأكمة بين المطر وظلت تصرخ تحت المطر:

– صوت الأعجم صوت الأعجم فطر قلبي صوت الاعجم.

هذا قلبي قد قطر دم، صوت الأعجم صوت الأعجم.

نظرت إليها من النافذة والمطر يهطل بغزارة والرياح تكاد تعصف بها إلى أسفل التل وصرخت مستغربا:

– لماذا تصرخ خالتي بين المطر؟!

قالت أمي:

– لكي تمتلك حنجرة ذهبية مثل فيروز، تحلم منذ صغرها أن تغني بالتلفزيون وأن تطوف العالم وأن تصبح غنية فعلا.

– من فيروز؟!

ردت أمي:

– فيروز مغنية لا تعرفها.

وعدت أسألها:

– هل وقفت فيروز بين المطر وصرخت: صوت الأعجم صوت الأعجم؟!

قالت أمي بتضجر:

– أووف منك ومن أسئلتك؟!

نظرنا من النافذة فلم نجد خالتي غنية، أسرعنا بين المطر، وجدناها أسفل التل، الدم يتدفق من رأسها، تصرخ وتتألم، أسرعنا نحملها بصعوبة ونتعثر بين المطر سقطت منا عدة مرات حتى وصلنا إلى المنزل، مددنا خالتي على السرير وأسرعت أمي توقف نزيفها بوضع مسحوق الحلف والحلتيت[1] على الجرح، ظلت تصرخ وتتألم.

طردتنا أمي من الغرفة لتنزع ثياب الخالة وتلبسها ملابس جافة، ظلت الخالة على السرير لأيام تئن وتتألم وأمي تعالج جروحها، أصفر لونها وشحب وجهها وتغير صوتها الناعم إلى صوت أجش حتى كأن فئران القرية في حلقها يأكلن خبزا يابسا!

بعد أيام نبتت سنتي معوجة ولم أشف من الرمد رغم أني قد لعنت الناس ولعنت جدي معهم لكن مصيبتي كانت أخف كثيرا من مصيبة خالتي غنية!

[1] مساحيق من الأعشاب البرية كان الناس قديما يعالجون بها الجروح.

زوج مخلص برتبة حمار!

عندما تزوجها كانت خجولة صامتة لا تتحدث حتى أنه ظنها خرساء، حدثها ليلة عرسه عن أشياء كثيرة بينما كانت تبتسم بخجل، ظل يحدثها وهي تنصت حتى غط في نوم عميق.

في صباح عرسه نهض فوجدها نائمة بجواره كأنها ملاك، تركها في أحلامها الوردية وسبقها إلى المطبخ وأعد الإفطار ومضى شهر العسل وهو من يطبخ أو يدعوها للعشاء في المطاعم.

مر شهر العسل وذهبت لزيارة أهلها وعادت بخارطة جديدة لاستحمار الزوج!

في البداية كان يدللها لأنها يحبها ويريد لها السعادة لكنها طبقت خارطة الطريق الاستحمارية باحتراف، ركبت عليه وأحسن القبض على سرجه ولجامه وركضت فوقه إلى الكثير من الأماكن.

ولكي يصبح من الفلاسفة تجاهل كل ما يحدث له فقد قرأ أن زوجة سقراط كانت تهينه وتنكد عليه عيشته وتوبخه بشكل دائم وتشتمه وكانت معاناته الدائمة تثمر عن أفكار فلسفية عظيمة لكنه لم يتحول لفيلسوف بل تحول من مرحلة الشباب إلى الشيخوخة المبكرة!

أبيض شعره وأحدودب ظهره وظهرت على وجهه الأخاديد وفي قلبه دفنت الكثير من الطموحات والأحلام، ورغم أنه لم يصل في عمره إلى الثلاثين إلا أن من يراه يظنه قد ناهز الستين!

يعمل في المنزل وفي المؤسسة التي يصلها متأخرا كل صباح فيتلقى التوبيخ والإهانات من مدير في المؤسسة وفي المساء يتلقى التوبيخ والإهانات من زوجته في البيت لأنه تأخر في عمله!

يعود إلى منزله في غاية التعب والإرهاق، يخلع ثياب العمل ويرتدي ثياب المطبخ وتظل هي بالصالة تتابع المسلسلات وتمطره بالشتائم والاهانات لتأخره عنها فقد جاعت وهي بانتظار عودته لتجهيز الغداء، لم يرد يوما على شتائمها واهاناتها له فقد قرر ألا يعمل عقله بعقلها!

أمتع لحظات حياته حين يتناول كأس الشاي بالنعناع بعد الغداء، زوجته تعود إلى النوم فيختلس ساعة من الهدوء والراحة ليبدأ بعدها بتنظيف المنزل وغسل ثياب زوجته والاستعداد ليطوف بها في مولات المدينة كسائق محترف!

عليه أن يرافقها وهي تشتري حاجياتها من المتاجر الراقية يدفع النقود ويحمل الأكياس وراءها وعليه أن يختار المطعم المتميز الذي ستتناول فيه العشاء وعليه أن يتلقى الشتائم والإهانات إذا لم يعجبها المكان والعشاء!

استيقظ ذات صباح وقد نبت له ذيل وطالت أذنيه كثيرا، تعجب مما حدث له وأجتاحه شعور عام بالخوف، تحسس ذيله الطويل وأذنيه، وقف أمام المرآة كثيرا، فكر بزيارة الطبيب لكنه خشي أن يتحول لأضحوكة بين الناس، مؤكد سيتحول لمادة ساخرة لوسائل الإعلام، كتم سره وتعايش مع ما يحدث له، في كل صباح يذهب إلى المطبخ يقص ذيله الطويل وأذنيه ويبدأ في العمل، ينزف الكثير من الدم ويتألم، لكن ألمه الأكبر هو في شتائم زوجته أثناء إعداده للغداء وفي تجاهلها الدائم لجهوده فبعد أن يعد لها الفطور وهي نائمة يظل لنصف ساعة يحاول إيقاظها برفق حتى تصحو لتتناول الإفطار، عودها أن يقوم بتدليكها وعمل مساج لها لتصحو أخيرا متذمرة منه، تذهب إلى الحمام لنصف ساعة بينما يرتدي ملابس العمل ويجهز حقيبته ويظل على أعصابه بانتظارها، الدوام في المؤسسة يبدأ بينما وهي لا تزل في الحمام، بعد نصف ساعة تخرج متثاقلة وعلى مائدة الإفطار المتنوعة تأكل بصمت وهي تشاهد التلفاز دون أن تجامله بكلمة شكر على جهوده.

ذات صباح نظر إلى صوة والده المعلقة في الحائط، كان قبل زواجه مبتسم لكنه الآن عابس بشكل أثار استغرابه، لاحظ تغير وجه والده في الصورة بدهشة وتعجب، فرك عينيه واقترب من الصورة ليتأكد مما يراه لتدوي على وجهه صفعة مؤلمة أعادته إلى صوابه.

كائن خرافي![1]

في قريتنا الصغيرة لا يخفى سر، ذات يوم انتشر خبر حصول الحاج نعمان على جرة مملوءة بالذهب في خرابة الدار القديم فهرع العشرات من أبناء قريتنا ومن القرى المجاورة للبحث في كافة أنحاء الدار المتهدم، من قبل لم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب منه فالكل يعتقد أنه مسكون من قبل الجن لكنهم بعد شائعة الكنز تناسوا كل ما سمعوه وحفروا في كل شبر منه منذ الظهيرة حتى منتصف الليل دون أن يجدوا شيئا.

تحول المكان إلى ما يشبه المهرجان فذهب الكثير من الناس للفرجة وتجمع عشرات الأطفال حتى كبار السن جاؤوا يمشون على عصيهم لعل وعسى يظفرون بشيء من الكنز!

---

[1] الحمل: كائن خرافي كان الناس قديما يعتقدون بوجوده.

حاولت الذهاب لكن الوالد حذرني:

– الدار قديم وفيه العفاريت والعقارب والثعابين وحجارة الدار متراخية قد تسقط فوق رأسك وتموت.

أحجمت عن الذهاب، في المساء كنا بسطح منزلنا نتفرج من بعيد على الخرابة التي تحولت إلى احتفالية غريبة من الأضواء والأصوات، يذهب أشخاص ويأتي آخرون على ضوء القناديل حتى أنسحب آخر ضوء وسكت آخر صوت.

في اليوم التالي غص منزل الحاج نعمان بالناس من الشيخ إلى أبسط شخص والكل يريد نصيبه من الذهب والحاج يقسم الأيمان المغلظة أنه ما وجد حتى بقشة وأن الأمر كله كذب في كذب وأنه ما قد دخل الدار القديم طيلة حياته ومع هذا فلم يصدقه أحد!

كنت ما زلت أغط في نوم عميق عندما صحوت مذعورا على طرقات عنيفة على باب منزلنا، أشعلت الفانوس ومضيت إلى الباب:

– من؟

– الحاج نعمان يا ابني أفتح.

فتحت الباب فدخل الحاج نعمان معتذرا عن إزعاجي في هذا الوقت المتأخر، نظرت إلى الساعة فوجدت أنها الثالثة فجرا فأصبت بقلق بالغ وقبل أن أسأله عما حدث هتف بي متضرعا:

– شوف لي حل يا أستاذ.

قلت باستغراب:

– أنا أشوف لك حل؟!

انطلق يتحدث:

– شوف لي حل كيف أفعل؟ الناس شغلوني والشيخ يهددني بأن يبلغ بي لإدارة المديرية إذا لم أخرج الكنز والعيون صارت عليّ وقاطعته:

– حاج نعمان قل لي بصراحة هل وجدت كنز كما يقولون؟!

أقسم لي الأيمان المغلظة بأنه لم يجد الكنز ولم يعثر على شيء وأنها شائعة لا يدري من أطلقها ضده وأنه بسبب هذه الشائعة قد تدحرج في

ورطة كبيرة أما إذا جاءت لجنة من الحكومة ومعها العساكر فسوف ينتهي تماما وسيبيع مواشيه وقد يبيع منزله وهو يذبح الذبائح ويقيم الموائد ويشتري القات للناس ويدفع الأجرة للجنة الحكومية وبعد هذا هل سيصدقون كلامه بعدم وجود الكنز؟!

من المحتمل أن يزجون به في سجن مظلم لسنوات.

شعرت فعلا بأن الحاج في ورطة كبيرة بسبب هذه الشائعة الكاذبة، ورطة أطارت نومه وتهدد وجوده، كنت عاجزا عن انقاذه ولكني فكرت في حل وقد وجدته الحل المناسب.

– ما لهذه الشائعة إلا شائعة أكبر منها.

هز الحاج رأسه فأدركت أنه لم يفهم فأوضحت:

– إذا أردت أن يتركك الناس في حالك لابد أن نفتعل شائعة أكبر فينشغل الناس بالخبر الجديد الأكثر أهمية عن شائعة الكنز.

وافقني الرأي ورأيت علامات الفرح في وجهه فأشرت عليه بأن يتحرك فورا ويأتيني بأربعة من الأشخاص ممن يثق فيهم وبسرعة.

غادر الحاج وبقيت أذرع الغرفة أفكر بتفاصيل الخطة التي سنضطر لتنفيذها لننقذ الحاج ولم تمض سوى ساعة حتى جاء الحاج ومعه الأربعة الأشخاص أوضحت لهم أبعاد مأساة الحاج نعمان بسبب هذه الشائعة وكيف أن الكل يريد أن يبتزه وينهبه بذريعة كنز لا وجود له وأكدت لهم أهمية تنفيذ الخطة والكذب على الناس كضرورة لإنقاذ أسرة فالضرورات تبيح المحظورات ثم وجهتهم بأن يذهب كل شخص منهم بما فيهم الحاج نعمان إلى مكان محدد في العراء وفي الجبال في الجهات الأربع وبعد صلاة الفجر يصرخ كل واحد ويقول بأن هناك من حمله من سطح منزله وألقاه في ذلك المكان وأنه عاجز عن الحركة وسوف أتحرك بدوري في أوساط الناس وأشيع بأن هذا هو الحمل وقد ظهر وأنه يخطف الناس من أسطح المنازل ويرميهم في العراء وقد يأخذهم إلى مكان بعيد ويفقأ أعينهم وقد يبقر بطونهم ويأكل قلوبهم وهكذا سينشغل الناس بهذه الشائعة الخطيرة ويتركون الحاج في حاله.

وبالفعل صليت في المسجد وبعد الصلاة سمعنا الصراخ من كل ناحية فهرعنا وهرع الناس من كل مكان فأسرعت أشيع في الناس بأن هذا هو

الحمل وأنه قد ظهر، وانتشر الخبر في كل أنحاء القرية والقرى المجاورة وصار حديث الناس وقد أضاف البعض من خيالهم الكثير من التفاصيل والممارسات التي يقوم بها الحمل حتى أن الشيخ نفسه نسي حكاية الكنز وصار يدور في كل القرى محذرا الناس من النوم في أسطح المنازل، كان ينادي بكل صوته محذرا من الحمل الذي ظهر وأنا والحاج نعمان نكاد نموت من الضحك!

صدر للكاتب:

1 . عن محاولتي الفاشلة للوصول إلى القمر . قصص.

2 . من عجائب تنكة بلاد الخرافات . قصص.

3 . نحن والحمير في المنعطف الخطير . قصص.

4 . لصوص لكن مبدعون . قصص.

5 . العلامة العمراني رمز التجديد والوسطية . تراجم.

6 . مجنون الفقيه . قصص.

7 . الأعجوبة . قصص.

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

هذا العمل الإبداعي برعاية داربسمة للنشر الإلكتروني
بشراكة مع جروب ملتقى الأقلام المُبدعة...

للاطلاع على الصفحة الرسمة لداربسمة للنشر الإلكتروني على الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.

للاطلاع على جروب ملتقى الأقلام المبدعة على الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.

المُحتَويات

الإهداء 6

مقدمة قصيرة 8

توبة غريبة! 13

الضائعة! 20

الحرب الخفية! 29

الكتاب الغريب! 35

انقلاب غريب!! 42

مجرم رغم براءته! 49

حقيبة مروان..... 56

دادح من عنة..... 63

نهاية الوهم الجميل! 70

مكان للتذكر! 78

سقوط الخرافة 82

مصيبة خالتي غنية! 90

زوج مخلص برتبة حمار! 95

كائن خرافي!..... 100

صدر للكاتب: 106

محمد مصطفى العمراني

أرجو للقاص العمراني أن يحقق حضوره الكبير، واسمه الإبداعي في الوسط السردي اليمني، كما نقشَه من قبلُ في عمله الصحفي والبحثي، وإنه على ذلك لمستطيع، ومن خلال موهبته وروحه المتدفقة بين كلماته وقصصه، وما يحمله من تنوُّع معرفي وخبرة حياتية كبيرة لقادر وجدير، وننتظر منه في كل عملٍ جديد إبداعه المتجدّد، وسرده المتميز.

د. إبراهيم أبو طالب

أستاذ الأدب والنقد الحديث

دار البسمة للنشر الإلكتروني

+212 771 814 934

basma24design@gmail.com

bassmabook

www.darbassma.net